

## الباب الثامن عشر

فيما يحمى من أفعال النساء  
وما يخدم عنده نزول الموت



## الندب والنياحة



من المعلوم الذى لا يعترض عليه أحد ، ولا يختلف فيه اثنان ، أن الموت قضاء وقدر ، وأنه كأس كل الناس شاربه ، وأنه من لم يمتمت بالسيف مات بغيره .

فمن الكفر والحماقة أن يجزع المسلم على من مات من أهله وأحبائه جزعاً يخرجه عن وعيه ، فيلطم الخدود ، ويمزق الثياب ، ويقول مالا ينبغى أن يقال .

والندب والنياحة عادة من عادات الجاهلية أبطلها الإسلام وشدد النكير على فاعلها ، واعتبره خارجاً عن سنن الإسلام .

وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن ابن مسعود -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال : «ليس منا من شق الجيوب ، ولطم الخدود ، ودعا بدعوى الجاهلية» .

والجيوب : صدور الملابس ، وهو أول ما يبدأ الحزين والمصاب الجاهل بشقه فى الغالب .

ودعوى الجاهلية : الثناء على الميت بما ليس أهله ، وذكره بما ليس فيه .

وروى البخارى عن أبى بردة بن أبى موسى قال : «وجع أبو موسى وجعاً ، فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فصاحت ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً فلما أفاق قال : إني برئ ممن برئ منه محمد ﷺ ، إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة ، والخالقة ، والشاقة» .

والصالقة : هى التى ترفع صوتها بالبكاء إلى الحد المزعج .

والخالقة : هى التى تخلق شعرها .

والشاقة : هى التى تشق ثيابها .

وقد صب النبى ﷺ هذا الوعيد على المرأة دون الرجل ؛ لأنها هى التى تنوح غالباً ، ولو ناح الرجل لكان داخلاً معها فى الوعيد حتماً .

هذا ، ولا يعد من النياحة البكاء على الميت ولو بصوت مرتفع ، ما لم يصحبه صراخ ، أو لطم للخدود ، أو شق للجيوب ، أو دعاء بالويل والشبور ونحو ذلك مما حرمته الشريعة الغراء .

فقد بكى النبى ﷺ على ولده إبراهيم حين مات وهو ابن سبعة عشر شهراً ، وبكى

على بعض أصحابه ، كعثمان بن مظعون ، وسعد بن معاذ - رضى الله عنهما - ،  
وبكى على بعض بناته - رضى الله عنهن - ، ووردت فى ذلك أحاديث كثيرة .

منها ما رواه ثابت البنانى - رضى الله عنه - عن أنس - رضى الله عنه - قال : دخلنا  
مع رسول الله ﷺ على أبى سيف القين<sup>(١)</sup> وكان ظمراً<sup>(٢)</sup> لإبراهيم ، فأخذ رسول الله  
ﷺ قبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم وجود بنفسه فجعلت عينا الرسول  
ﷺ تزرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يارسول الله ؟ ، فقال : « يا ابن  
عوف ، إنها رحمة » ثم أتبعها بأخرى . فقال رسول الله ﷺ : « إن العين تدمع ،  
والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » . أخرجه  
البخارى .

وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال :  
اشتكى<sup>(٣)</sup> سعد بن عبادة شكوى له ، فأتاه النبى ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن  
عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، فلما دخل وجده فى غشية  
فقال : « قد قضى ؟ »<sup>(٤)</sup> ،

فقالوا : لا يارسول الله ، فبكى ﷺ ، فلما رأى القوم بكاءه بكوا ، قال : « ألا  
تسمعون ، إن الله لا يعذب بدمع العين ولا يحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا - وأشار  
إلى لسانه - أو يرحم » .

وروى أحمد عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : إن سعد بن معاذ لما مات  
حضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، فوالذى نفس محمد بيده أنى لأعرف بكاء  
عمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حجرتى ، وكانوا كما قال الله تعالى : « رحماء  
بينهم » .

وهذا الحديث يدل على جواز البكاء بصوت مرتفع ؛ لأن عائشة استطاعت أن تميز  
بكاء عمر من بكاء أبى بكر - رضى الله عنهما - .

وروى أحمد عن ابن عباس أنه لما ماتت زينب - رضى الله عنها - بكى النساء ،  
فجعل عمر يضربهن بسوطه ، فأخذ رسول الله ﷺ بيده ، وقال : « مهلاً يا عمر ، ثم  
قال : ابكين ، وإياكن ونعيق الشيطان ، ثم قال : إنه مهما كان من العين والقلب ،  
فمن الله عز وجل ، ومن الرحمة ، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان » .

(١) القين : هو الخلد . (٢) الظم : زوج المرأة المرضعة .

(٣) اشتكى : أى مرض . (٤) أى هل قد مات ؟

هذا ، وللبكاء أحياناً منافع كثيرة ، فهو يقي من الكبت ، ويمنع من احتباس الحزن في القلب ، ويلطف من حدة الحزن ، ويريح النفس من ألم المصاب إذا لم يخرج عن جو الاعتدال .

## مشى المرأة خلف الجنازة

لا يجوز للمرأة أن تحمل الجنازة مع الرجال ، ولا أن تمشى خلفها ، ولا أن تذهب إلى دفنها .

لقول أنس -رضي الله عنه- : «خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة ، فرأى نسوة ، فقال : أتحملنني ؟ ، قلن : لا . قال : أتدفنه ؟ ، قلن : لا . قال : فارجعن مأزورات غير مأجورات» .

أخرجه أبو يعلى بسند ضعيف وله شواهد تقويه ، ورواه ابن ماجه والحاكم بمعناه عن علي رضي الله عنه .

## صلاة المرأة على الميت

يستحب للمرأة أن تصلي على الجنازة خلف الرجال ، بشرط ألا تمشى خلفها إلى المسجد ، ولا تذهب معها إلى المقابر ، بل تمشى وحدها إلى المسجد قبل الجنازة أو بعدها إن أرادت أن تحصل على ثواب الصلاة ، فإن صلوا عليها في المقابر لا تذهب إليها ، وجاز لها أن تصلي عليه صلاة الغائب وهي في بيتها .

وصلاة الجنازة أربع تكبيرات ، تقرأين الفاتحة بعد التكبيرة الأولى ، وتصلين على النبي ﷺ بعد التكبيرة الثانية ، وتسألين الله المغفرة والرحمة للميت بعد التكبيرة الثالثة والرابعة ، وتسألين لنفسك - أيضاً - العفو والمغفرة ، ثم تسلمين عن يمينك تسليمه واحدة ، ولك أن تسلمي عن شمالك أيضاً تسليمه أخرى ، ولا تنسى النية قبل التكبيرة الأولى ، فقولي في قلبك : نويت الصلاة على من حضر من أموات المسلمين ، والنية محلها القلب كما تعرفين .

وإذا لم يوجد مع النساء رجل يصلي بهن صليين فرادى عند الأئمة الثلاثة ، وجاز عند الشافعية أن تؤمهن امرأة ، بشرط أن تقف وسطهن .

والصلاة على الجنائز ثوابها عظيم ، فاحرصي عليها .

فقد روى الجماعة عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط ، ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان ، أصغرهما مثل أحد - أو أحدهما مثل أحد - أى مثل جبل أحد .

وقد عرفت أن متابعة الجنائز ليست جائزة فى حقك ، فالتمسى لنفسك قيراط الصلاة ، وعوضى ما فاتك بالذكر والدعاء .

## الإحداذ على الميت

يجب على الزوجة أن تحد على زوجها إذا مات أربعة أشهر وعشر ليال بأيامهن ، فتترك الزينة بكافة أنواعها ، فلا تلبس الحرير ، ولا تكتحل ، ولا تتعطر ، ولا تلبس الثياب المزركشة المملفة للنظر ، ولا تمشط شعرها إلا بعد الاغتسال من الحيض والنفاس ، وإذا تمشطت لا تضع على رأسها ما يفوح ريحه ، ولا تخرج من بيتها ، ولا تحتك بالرجال إلا لحاجة . فهذا هو الإحداذ شرعاً .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

ومعنى يتربصن بأنفسهن : ينتظرن بأنفسهن لا يتزوجن خلال هذه المدة ، ولا يفعلن فى أنفسهن ما يتنافى مع الإحداذ الواجب عليهن .

ولعل الحكمة فى تحديد هذه المدة أنها هى التى يتخلق فيها الجنين فى بطن أمه ، فمن الوفاء لزوجها أن تعتد لموته بقدر المدة التى نفخت فى آخرها روحه .

وإحداذ المرأة على زوجها فيه صيانة لحرمة ، ووفاء منها لصحبته ، وإظهار لتعففها عن الرجال ، وغير ذلك مما قد يلحقها إذا لم تمنع نفسها عن الزينة والترفة . هذا : ولا يجوز للمرأة أن تحد على قريب مات لها أكثر من ثلاثة أيام .

لما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أم عطية رضى الله عنها : أن النبي ﷺ قال : « لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج ، فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً ،

ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب<sup>(١)</sup> ولا تكتحل ، ولا تمس طيباً ، ولا تختضب ، ولا تمتشط ، إلا إذا طهرت تمس نبذة من قسط<sup>(٢)</sup> أو ظفار .

ومن المؤسف أننا نرى كثيراً من النساء إذا مات لإحداهن قريب تلبس الملابس السوداء ، وتضع في يديها أحياناً أسورة من قماش أسود ، وتظل على هذه الحال مدة ربما تصل إلى العام ، وهو أمر لا يقره الدين كما عرفت أيتها الأخت المسلمة ، وهو من المجاملات الفارغة ، والعادات الجاهلية التي يجب أن تزول من مجتمعنا .



## زيارة المقابر وآدابها



زيارة القبور من الأمور المستحبة ؛ لما رواه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تذكركم الآخرة » .

وفى رواية لابن ماجه : « ألا فزوروها ؛ فإنها تزهد في الدنيا وتذكركم الآخرة » .

وقد نهاهم في أول الإسلام عن زيارتها ، لأنهم كانوا حديثي عهد بجاهلية وكانوا يذهبون إليها ، ويفخرون بالأموال عندها كما يفتخرون بالأحياء ، فلما حسن إسلامهم وذهبت عنهم حمية الجاهلية وخزعبلاتها حثهم على زيارتها للغرض المذكور .

والمرأة كالرجل في هذا الأمر ، إذا خرجت بإذن زوجها أو وليها لتذكر الموت وأمور الآخرة ، غير متبرجة ولا متعطرة ، ولا نادبة ولا نائحة ، ولا تخشى منها الفتنة ، وإلا حرم عليها الخروج ، ووجب على زوجها أو وليها منعها ولو بالقوة .

ونحن نعلم أن هذه الشروط غير متوفرة في زماننا هذا ، لذلك يجب سد هذا الباب عليهن ومنعهن من الذهاب إلى المقابر؛ لما يرتكبه هناك من آثام تقشعر منها الأبدان ، وكلنا يعلم ما يحدث هناك ، لاسيما في المواسم والأعياد .

إن ما يحدث هناك فاق ما كان يحدث في الجاهلية الأولى .

هذا ، وليس للزيارة مواسم معينة - كما هو الحال في مصر وغيرها من بلاد المسلمين - بل متى انشرح صدر الإنسان للزيارة ذهب إليها للعظة والاعتبار لا للبكاء والنياحة .

(١) بردة يمانية يعصب غزلها عصباً عصباً ، ويشد بعضه إلى بعض فيصير غليظاً .

(٢) القسط - بضم القاف وسكون السين - والأظفار : نوعان من العود ذي الرائحة الطيبة .

وللزيرة آداب يجب عليك - أيتها الأخت المسلمة - أن تراعيها عند الزيارة منها :

١ - أن تدخلها محتشمة في سكينه ووقار وخشية لله عز وجل ، وتذكرى أنك غداً ستكونين ضيفاً على الله في هذه الساحة مع هؤلاء الموتى ، ومعك عملك مرهونة به ، محبوسة عليه ، مسئولة عنه ، ومحاسبة على كل صغيرة وكبيرة فيه ، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

٢ - وإذا دخلت المقابر فسلمى على من فيها تحية مباركة طيبة ؛ فإنهم ينتفعون بهذا السلام ويسمعون ، ولكنهم لا يردون .

روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن بريدة قال : « كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وأنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أتم فرطنا ونحن تبع ، ونسأل الله لنا ولكم العافية » . ومعنى فرطنا : المتقدمون علينا .

٣ - وعليك أن تجتنبى ما يفعله بعض السفهاء من الأكل والشرب ، والضحك واللعب ، والتبول والتبرز ، وغير ذلك مما يتنافى مع جلال المكان .

ومن المؤسف حقاً أن نرى المقابر في بلادنا الطيبة قد تحولت إلى مساكن ، يمارس فيها ما يمارسه الناس في بيوتهم ، بل أصبحت مأوى للصوف والفجار ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

## التعزية

التعزية : هى التصبير والتسلية ، والمواساة بالكلام الحكيم والمواعظ البليغة .

وهى مستحبة لما فيها من التعاون والتراحم والثواب العظيم .

روى ابن ماجه والبيهقى بسند حسن عن عمرو بن حزم أن النبي ﷺ قال : « ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة (أى بسبب مصيبة أو فى مصيبة) إلا كساه الله - عز وجل - من حلل الكرامة يوم القيامة » .

والتعزية تكون لجميع أهل الميت صغاراً وكباراً ، ذكوراً وإناثاً ، ولو كانوا من أهل الذمة - اليهود والنصارى - وتؤدى بأى لفظ مناسب للمقام ، فالحكيم من عرف مواطن الكلام ، والبليغ من يراعى مقتضى الأحوال ، والطبيب الماهر هو الذى يشخص

الداء ويعرف الدواء .

فالكلام الذى يقال للكبير قد لا يصح أن يقال للصغير ، والمهم فى التعزية أن تخفف هول المصاب ، وتجعله يرجع إلى الله ، ويسلم أمره إليه ، ويحتسب أجره عليه .  
والتعزية تكون قبل الدفن أو بعده ، وفى أى مكان .

ولا يستحب الاجتماع لها ، بل يعزى أهل الميت فرادى ، وقد كره الاجتماع لها كثير من الفقهاء .

قال الشافعى فى الأم : أكره المأتم ، وهى الجماعة وإن لم يكن لهم بكاء؛ فإن ذلك يجدد الحزن ويكلف المؤنة .

قال النووى : قال الشافعى وأصحابه - رحمهم الله - : « يكره الجلوس للتعزية » .  
وقالوا : ويعنى بالجلوس : أن يجتمع أهل الميت فى بيت ليقصدهم من أراد التعزية بل ينبغى أن ينصرفوا فى حوائجهم .

ولا فرق بين الرجال والنساء فى كراهة الجلوس لها .

ذهب بعض أهل العلم من الأحناف وغيرهم إلى عدم كراهية الاجتماع لأخذ العزاء يوماً أو يومين أو ثلاثاً ، بشرط ألا يرتكب فيه شىء من البدع والعادات والسيئة ، مثل إقامة السرادقات ، ونصب مكبرات الصوت المزعجة ، وشرب الدخان أثناء قراءة القرآن ، وغير ذلك .

والأمر الذى يجب التنبيه عليه هنا والتحذير منه هو ما تفعله النساء عند أخذ العزاء ، فإن كثيراً منهن إذا دخلت إحداهن على من تريد أن تعزبها صرخت فى وجهها ، واشتركت معها فى لطم الخدود ، وغير ذلك مما نهى الشرع عنه .

وفى الصباح ولمدة ثلاثة أيام تجلس النساء لأخذ العزاء ، ويؤتى بقارئة تقرأ القرآن فى مكبر الصوت ، وهو أمر لا يجوز لها أن تفعله ، وأكثرهن لا يجدن القراءة ولا يحسنها ، وقد تعظهن بكلام سخييف ما أنزل الله به من سلطان ، والنساء فى هرج ومرج ، لا يكففن عن الكلام ولا عن الصراخ ، فهل هذا من الإسلام !!

هذا ، ولا يجوز تجديد الأحران بعد الأيام الثلاثة التى جعلت حداً لأخذ العزاء فلا أحمسة ولا أربعينات ولا ذكريات سنوية ، ولا شىء من هذا القبيل ، والهدى هدى الله .